الـوعـد الإلهـي وعـد حـق

المناسبة: الزيارة الخاصة لمدينة قم.

المكان: قم المقدسة ـ حرم السيدة المعصومة (عليها السلام).

الزمان: 1389/7/28هـ.ش. 1431/11/12هـ.ق. 2010/10/20م.

الحضور: حشدا غفيرا من عوائـل الشـهداء والمعـاقين والمضـحين فـي محافظة قم.

4321

السلام عليكِ يا بنت رسول الله يا فاطمة المعصـومة صـلوات الله عليـك وعلى آبائك الطيبين الطاهرين المطهرين.

بعد الاستئذان من الروح المطهرة لسـيدتنا فاطمـة المعصـومة (سـلام الله عليها) التي يقام هذا المحفل المعنوي والملكوتي تحت ظلها...

مدينة قم رائدة ومتفوقة في الكثير من الأمور. وفي باب الشهادة والشـهداء وعوائل الشهداء أيضاً تعدّ قم مدينة متفوقة رائدة. فقد قدّمت للإسلام والثـورة نحو ستة آلاف شهيد. وفي بعض أعوام الدفاع المقدس قدّمت في سنة واحدة أكثر من ألف شهيد جهاداً في سبيل الله، وقد تضرج هـؤلاء بالـدم والتـراب، وشيّعت هذه المدينة العظيمة جثامينهم ولم تبال أبداً. ولها نحو أحد عشر ألف

معاق، وهؤلاء في الحقيقة شهداء أحياء بيننا.. إنهم شهداء أعلام معروفون تفخر بهم لا قم وحدها بل البلاد كلها.. إنهم نجوم وكواكب، وهذه مميزات كبرى.

أعزائي، قضية الشهادة قضية عميقة ومهمة جداً. وشعبنا حل هذه القضية عملياً بإيمانه ومشاعره الدينية وشجاعته.. قدم الشهداء وكان ثمة آباء وأمهات لم يبكوا على شهدائهم حتى، وكانت هناك عوائل ارتدت ثياب الفرحة في مراسيم تأبين شهدائها. إذن قضية الشهادة محلولة عملياً في أذهان الشعب، لكن المجال أمامنا واسع جداً للتفكير في الشهادة.

لو أردنا عرض قضية الشهادة وأهميتها في جملة واحدة لقلنا إن الاعتقاد بالشهادة والإيمان بعظمة الشهداء يمثل بالنسبة لأي شعب العمق المعنوي لشخصية ذلك الشعب وهويته. كيف يمكن لشعب أن يُعرف بالعظمة في أعين شعوب العالم؟ وكيف يمكن للشعب بدل أن يتأثر بشتى العوامل السياسية في العالم أن يترك تأثيره في جميع الأحداث في العالم؟ كيف يمكن للشعب بلوغ هذه المكانة؟ كيف يمكن لشعب من دون أن تتوفر له المعدات والأدوات العسكرية المعقدة، ومن دون أن تكون لديه إمكانيات إعلامية واسعة أن يؤثر في العالم وبين الشعوب بحيث تنجذب الشعوب إليه؟ لاحظوا الاستقبال الذي خرج به الشعب اللبناني لرئيس جمهورية الشعب الإيراني. هذا ليس بالشيء الصغير. إنه شيء جدير بالدراسة والتحليل. كيف يمكن لرئيس جمهورية شعب في بلد آخر وبين أبناء شعب آخر ليست له صلة قرابة بهم إطلاقاً أن يحظى بكل هذا الاهتمام؟ من أين جاءت عظمة هذا الشعب؟ الإجابة عن كل هذه

الأسئلة تستدعي التنبّه لأهمية قضية الشهادة. حينما يتقبل شعب بجميع أبنائه وشبابه وآبائه وأمهاته الإيثار في سبيل الله والتضحية بالنفس في سبيل الهدف الإلهي ويؤمنون به فسوف يكتسب هذا الشعب عمقاً هائلاً من العظمة. ومن الطبيعي أن يكون هذا الشعب مقتدراً وقوياً ومتفوقاً من دون أن يكون له سلاح ومن دون أن يمتلك ثروة نقدية مميزة.

لاحظوا أن مائة شخص من حيث العدد متساوون مع مائة شخص آخر قبالهم. مائة شخص مقابل مائة شخص، أو ألف شخص مقابل ألف شخص. عشرة ملايين مقابل عشرة ملايين، هؤلاء متساوون طبعاً. وقد يكون أحدهم أقوى من غيره من حيث القوة البدنية والقدرات الجسمية والمادية، ولكن حين تكون الفئة المقابلة التي لا قوة لها من الناحية الجسمية والمادية متسلحة بالإيمان بالله، ومقتنعة بأنها إذا ضحّت في سبيل الله فسوف لن تخسر شيئاً بل ستكسب شيئاً فسوف يتحلى هؤلاء النفر المائة بقوة لا يمكن للفئة المقابلة لهم التوفر عليها بأية إمكانيات مادية.

في حرب بدر كان أعداء النبي أضعاف المسلمين من حيث العدد، ومعداتهم وأسلحتهم أضعاف المسلمين أيضاً، وأموالهم وإمكانياتهم المادية أضعاف المسلمين، لكن المسلمين انتصروا، لماذا؟ أليس النصر بالقوة والسواعد؟ أليس بالسيف؟ أليس بالأموال؟ أليس بالاقتدار الظاهري؟ لا، ليس النصر بهذه الأمور. النصر منوط باقتدار لا يتأتى بالمال والإمكانيات المادية والسلاح النووي، إنما ينبع من الإيمان بالشهادة والإيثار والاعتقاد بأن الإنسان

حينما يضحّي إنما يتاجر ويتعامل مع الله. إذا حسبنا الأمور على هذا الأساس ـ وهو حساب صحيح ـ لكان الشعب الإيراني أقوى وأعظم من كل الشعوب.

من الذي منح الشعب الإيراني هذه العظمة؟ منحها له بالدرجة الأولى هؤلاء الشهداء الأبرار من أمثال الشهيد زين الدين، وصادقي، ووكيلي، وحيدريان، هؤلاء هم الذين أثبتوا هذا الإيمان لا باللسان بل بالعمل.

يوم سار الشهيد حيدريان من مدينة قم مع عدد قليل إلى كردستان، وحارب أمام الأعداء، كان الشعب الإيراني يومها في منتهى الغربة واقفاً أمام كل المعسكر الغربي، وقد كانت جميع الإمكانيات العالمية معبّأة ضدنا. فقام عدد من الشباب من قم وعدد من الشباب من مدن أخرى ومن كل القرى والمدن وأثبتوا عملياً إيمانهم بالتجارة مع الله.. ﴿**إِنَّ اللهِ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾[1] الوعد الإلهي وعد حق. يقف شهداؤنا في الصف الأول ومعهم المضحون من المعاقين.. هؤلاء هم روادنا والسبّاقون منا في جبهة الحق. ذهبوا وأثبتوا الإيمان بالشهادة والتجارة مع الله في ساحة العمل والفعل.

وتأتي في الصف الثاني عوائل هؤلاء.. أنتم آباء الشهداء وأمهاتهم وأبناؤهم وزوجاتهم. أنتم الذين صبرتم وتحملتم هذا الحدث المرّ في ظاهره. فقدان الأحبّة أمر مرّ وصعب. الأب والأم يكدّان ويجهدان ويسقيان هذه الباقة من الورود وهذه الغرسة العزيزة المباركة بدماء قلوبهم ويكبّرونها وينشئونها ثم

يأتون بجسده إلى جبهة القتال.. هذا شيء صعب وليس سهلاً. وقد تقبل آباء الشهداء وأمهاتهم وزوجاتهم وأبناؤهم هذا الحدث المرير في ظاهره بأذرع مفتوحة وأثبتوا أنهم يؤمنون بالتجارة مع الله.

لقد زرت أمهات شهداء كن يقلن بجدّ وصدق لو كان لنا عشرة أبناء لكنا على استعداد لتقديمهم في سبيل الله، ولم يكنّ يكذبن. التقيت بأمهات وآباء كانوا يشعرون بالعزة والفخر لأنهم قدموا أبناءهم شهداء في سبيل الله.. ومعهم الحق طبعاً.. إنها عزة وفخر. وكما قالت عمّتنا زينب الكبرى (سلام الله عليها): «ما رأيت إلا جميلاً»[2]. ليست واقعة كربلاء بالشيء البسيط. هذه العين الناظرة إلى الله تشاهد حقيقة جميلة من تلك الواقعة ومن تلك الدماء المسفوحة ومن تلك المصيبة الجسيمة. «ما رأيت إلا جميلاً». هذا ما يمنح الشعب الاقتدار. وهو ما يوجد الثقة بالنفس لدى الشعب. هؤلاء هم الذين لا ترعب قلوبَهم تهديدات القوى المادية في العالم والعربدات الثملة للحكومات المعتدية والمستكبرة في العالم.

الشعب الإيراني اليوم لا يخشى التهديدات والعربدات التي يطلقها رؤساء الجمهوريات الغارقون في الماديات والشهوات. إنه شعب صامد بقوة على مبادئه. والأمر كما ذكره الآباء والأمهات المحترمون الأعزاء الذين جاءوا وتحدثوا هنا.. هذه كلمات صادقة. عوائل الشهداء واقفة صامدة والشعب الإيراني واقف صامد بفعل الاقتدار المعنوي والقوة التي يشعرها في نفسه بفضل الإيمان بالله. ينبغي تعزيز هذا الإيمان.

ما أريد أن أقوله هو أن على المسؤولين وكل أبناء الشعب وعوائل الشهداء أن يعرفوا قدر هذا الإيمان ويعززونه في أنفسهم يوماً بعد يوم. هذا ما يضمن اقتدار الشعب الإيراني. وهو ما يمكن أن يكون الدعامة لتطورنا العلمي والتقني والسياسي والاجتماعي. اعلموا أن هناك بعض الأفراد بذلوا بعد رحيل الإمام الخميني (رضوان الله عليه) أقصى جهودهم للقضاء على هذا الإيمان لدى شعبنا. كتبوا وتحدثوا وكرروا.. وركز العدو على سحق هذا الإيمان. وقد فشل طبعاً وسوف يفشل بعد اليوم أيضاً ولن ينجح أبداً.

شبابنا الأعزاء اليوم شباب جد صالحين. الجيل الشاب الناهض من هذه البيئة وهذه المشاعر وهذا الإيمان جيل مبارك. لو وقعت اليوم أحداث كالتي وقعت في عقد الستينات (عقد ثمانينات القرن الماضي) لما كان شباب اليوم بأقل من شباب ذلك العهد تواجداً في ميادين القتال. كانت تلك التجربة أمامهم فساروا واليوم أيضاً لو تكررت التجربة لساروا. الشباب صالحون وطاهرون ومستعدون. إنني أوصي شبابنا الأعزاء وخصوصاً أبناء الشهداء أن يعرفوا قدر عزتهم ويعرفوا قدر انتسابهم للشهداء. هذا فخر لكم ولكل الشعب الإيراني.

ربنا بمحمد وآل محمد اجعلنا ممن يعرفون قدر الشهداء. اجعلنا ممن يعرفون قدر المضحين. اللهم افتح علينا دوماً طريق الإيمان بالمعنوية والنقاء والنور الذي فتحه لنا الشهداء.

أرض عنا القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر(عجل الله فرجه الشريف).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[1] سورة التوبة، الآية 111.

[2] اللهوف، ص 160.